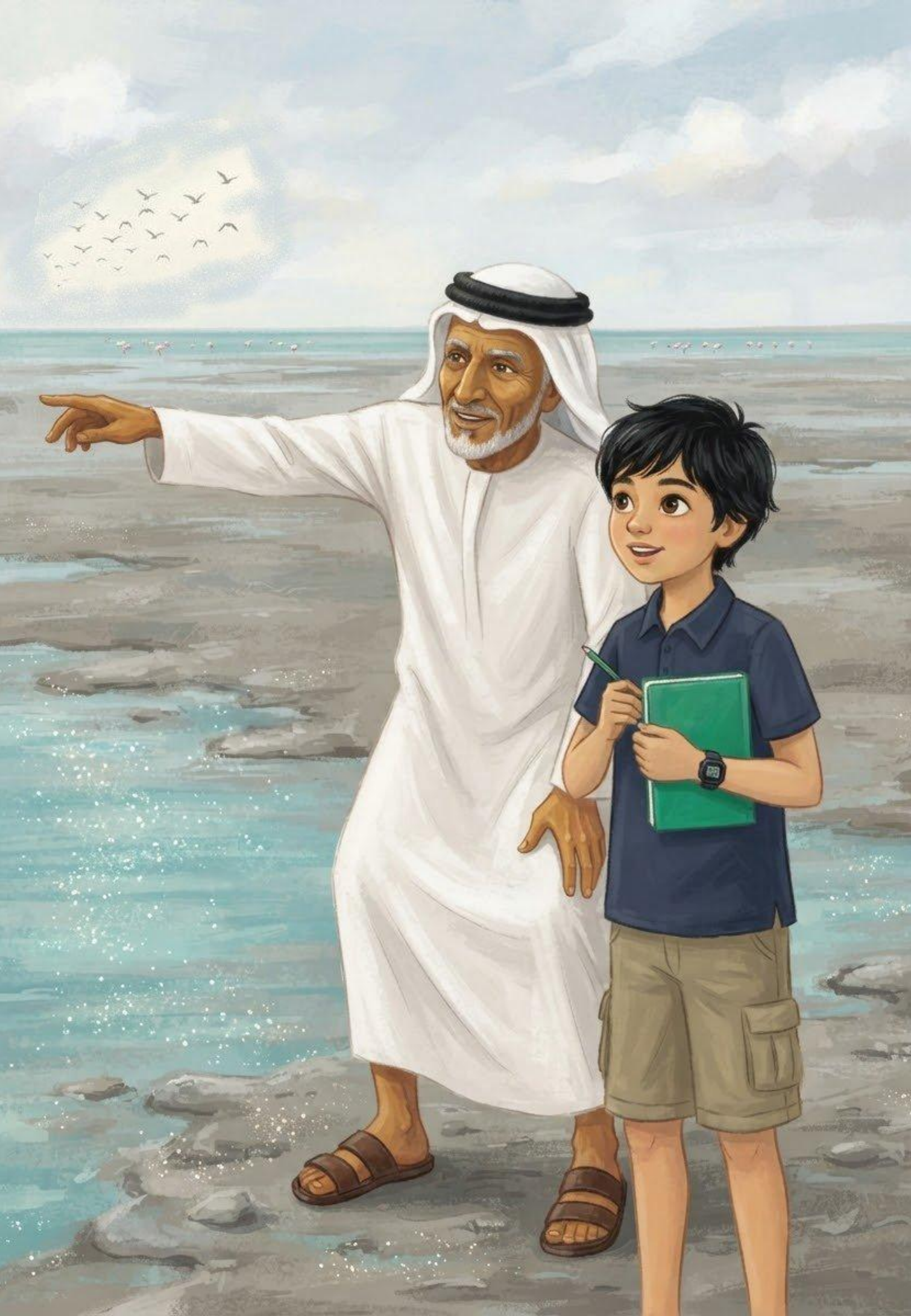


رحلة حسن مع طيور النحام الوردية

علي حسن جعفر

في صباح يوم هادئ على ساحل قرية كرانة بمملكة البحرين، اصطحب الحاج باقر حفيده الصغير حسن إلى الشواطئ الطينية. كان الهواء منعشاً ورائحة البحر تملأ المكان. مد الحاج باقر يده مشيراً إلى الأفق وقال: "انظر يا حسن، لقد وصلت طيور النحام لتزين سواحلنا". وقف حسن مبهوراً وهو يرى المئات من الطيور تصطف بانتظام فوق المياه الضحلة.



اقترب حسن قليلاً ليرى الطيور بوضوح أكبر. كانت طيور النحام، أو "الفلامنجو" كما يسميها البعض، تبدو كلوحة فنية مرسومة باللون الوردي الزاهي. تميزت بسيقانها الطويلة الرفيعة التي تشبه أعواد الخيزران، وأعناقها الرشيقة التي تلتوي بانسيابية مذهلة وهي تتحرك ببطء فوق الطين.



تساءل حسن: "جدي، كيف تأكل هذه الطيور ومنقارها مقلوب؟". ابتسم الحاج باقر وشرح له كيف تضع هذه الطيور رؤوسها مقلوبة في الماء لتصفية الطين والحصول على العوالق والقشريات الصغيرة. كان حسن يراقب طائراً قريباً وهو يهز رأسه تحت الماء، وكأنه يقوم بعملية تنظيف دقيقة للبحث عن طعامه المفضل.



"انظر هناك يا حسن"، قال الحاج باقر مشيراً إلى أكوام طينية غريبة الشكل. "هذه هي أعشاشها". كانت الأعشاش عبارة عن تلال مخروطية بناها النحام من الطين اللزج لترتفع عن مستوى الماء وتحمي البيض من الغرق. تعجب حسن من ذكاء هذه الطيور وقدرتها على هندسة بيوتها من أبسط المواد المتاحة في بيئتها.



فجأة، لاحظ حسن شيئاً غريباً عالقاً بين الصخور القريبة. كانت شباكاً بلاستيكية قديمة وبعض الخيوط غير القانونية التي تركها بعض المخالفين. بدت ملامح القلق على وجه الحاج باقر وهو يقول: "هذا هو الخطر الحقيقي يا بني. الصيد الجائر والشباك المهملة قد تحول هذه الجنة إلى فخ قاتل لطيورنا الجميلة".



"تضع أنثى النحام بيضة واحدة فقط في كل موسم"، أضاف الحاج باقر. "ويتناوب الأب والأم على حضانتها لمدة شهر كامل تقريباً حتى تفقس". تعجب حسن من صبر هذه الطيور ورعايتها الفائقة لصغارها في هذه البيئة المفتوحة.



فجأة، رأى حسن طائراً صغيراً يركض خلف أمه، لكن ريشه كان رمادياً وليس وردياً! ضحك الحاج باقر وقال: "هذه هي الفراخ يا حسن. تولد بريش رمادي ناعم، ولا يتغير لونها إلى الوردي إلا عندما تكبر وتبدأ بأكل الطحالب والروبيان بنفسها".



سأل حسن جده: "لماذا منقارها منحني يا جدي؟ ولماذا نهايته سوداء؟". أجابه الحاج باقر: "هذا المنقار يا بني هو مصفاة طبيعية. يضع النحام رأسه مقلوباً في الماء، فيصفي الطين ليحصل على الروبيان الصغير والطحالب. وبسبب هذا الغذاء، يكتسب ريشه لونه الوردي الجميل".



جلس حسن على الرمال يراقب طائراً يغمر رأسه في الماء الضحل. فكر حسن وهو يرسم المنقار المنحني بدقة، مع الحرص على تلوين طرفه باللون الأسود الداكن كما رآه تماماً. وبدأ يكتب في دفتره الأخضر: "النحام طائر مهاجر، يزور مملكة البحرين لجمال سواحلها ووفرة غذائها. يجب علينا حماية هذه البيئة لتبقى موطناً آمناً لها". كان الحاج باقر ينظر إليه بفخر واعتزاز.



في اليوم التالي، عاد حسن إلى مدرسته وهو يحمل معه الكثير من المعلومات والصور. جلس في مقعده وبدأ في ترتيب أفكاره لكتابة بحث عن رحلته. أراد أن يخبر الجميع عما رآه، وعن أهمية الدور الذي يقوم به رجال الأمن البيئي، وكيف يمكن لكل طفل أن يكون حارساً للطبيعة.


Pacsie books

وقف حسن أمام زملائه في الفصل، وكان صديقه سلمان يساعده في عرض بعض الصور. قال حسن بصوت واثق: "أصدقائي، طيور النحام ضيوفنا الغاليين، وحمايتهم تبدأ منا نحن بترك الشواطئ نظيفة والتبليغ عن أي مخالفات". أعجب سلمان والطلاب بحديث حسن وبدأوا في طرح الأسئلة حول كيفية المشاركة في حماية البيئة.



في نهاية الأسبوع، عاد حسن مع جده الحاج باقر إلى الشاطئ. كانت الشمس تغرب، والسماء تلونت بألوان برتقالية ووردية تشبه ريش النحام. فجأة، طار سرب كبير من الطيور في السماء بحرية تامة. لوح حسن بيده للطيور وقال: "طيري بسلام، فنحن هنا لنحميكِ". ابتسم الحاج باقر وهو يرى جيل المستقبل يحمل أمانة الحفاظ على الوطن وجماله.



النهاية

رحلة حسن مع طيور النحام الوردية

علي حسن جعفر

الطبعة الأولى - ٢٠٢٦م